25-01-2015

الشيخ جمال الدين سيروان

الإخلاص للأمير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين صلّ اللهم وسلم على صفوة خلقك سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم اغفر لنا يا غفور وارحمنا يا رحيم، وتب علينا يا تواب، ربنا تب علينا توبةً نصوحًا لا ننقض عقدها أبدا، اللهم يا قابل التائبين اقبل توبتنا، واغسل حوبتنا واغفر ذنبنا واستر عيبنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا أرحم الراحمين إنا نسألك أن تشفينا من كل داء، وأن تعافينا من كل بلاء، اللهم اشفنا من كل داء، وعافنا من كل بلاء، اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، آتِ اللهم نفوسنا تقواها، زكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها تعلم سرها ونجواها، ارحمنا ربنا فإنك بنا راحم ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، الطف بنا فيما جرت به التقادير، الطف بنا فيما جرت به التقادير، الطف بنا فيما جرت به التقادير، دبر لنا فإنا لا نُحسن التدبير، خذ بأيدينا إليك دُلنا بك عليك، لا تقطعنا عنك بقواطع الذنوب ولا تحجبنا عنك بقبائح العيوب يا غنيًا عن التفسير يا من عليه العسير يسير، نشكو إليك ما لا يخفى عليك، نشكو إليك ما لا يخفى عليك، نشكو إليك ما لا يخفى عليك، اللهم ربنا تولنا وتولى أمرنا وتولى أولادنا وتولى أزواجنا وتولى أمتنا بفضلك وجودك ونصرك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر عبادك المستضعفين، اللهم احفظهم بحفظك واكلأهم برعايتك، اللهم احمهم بحمايتك، اللهم قهم بوقايتك احفظ أهل الشام يا أرحم الراحمين وأهل اليمن وأهل العراق وأهل ليبيا اللهم يا ربنا احفظهم بحفظك وفرّج عنهم همومهم ونفس عنهم كروبهم بقدرتك يا رب العالمين، اغفر اللهم لنا ولآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين و والديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

أحبتي الكرام، مع المائدة العطرة يعني يذكرنا اللهم ارحم أمواتنا اجمعين وأرحم أموات جميع المسلمين وخصّ إن شاء الله الملك عبد الله واجعله في أعلى عليين مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير مولانا رب العالمين، ونحن اليوم في دوحة الحبيب صلى الله وسلم وبارك عليه، نأتي إليها في كل لحظةٍ من لحظات حياتنا، نستشرف من خلالها مستقبلنا، ونأخذ خطة حياتنا الواقعية، ونقرأ الماضي الذي كان ﷺ يُسطره من خلال فهمه لآيات ربه سبحانه وتعالى، وقد وصلنا مع المصنف -يرحمه الله تعالى- إلى عنوانٍ عنونه، بقوله: الإخلاص للأمير، وإننا قد ذكرنا بأن القضية التي قامت في المسلمين قامت على أساس عقدٍ ما بين الناس، فإن الله سبحانه وتعالى يوم أنزل عليهم منهجه ترك للناس اختيارًا لإدارة امورهم فيما بينهم بطرائق يختارونها، إذ طرائق الإدارة تتطور من عصرٍ إلى عصر، ولا يمكن أن تكون تلك الأدوات قائمةً في عصرٍ ثابتةً إلى يوم القيامة، ولذلك نرى بأن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إنما طوّر في إدارته باعتبار أنه أمرٌ ابتكاريٌ إبداعيٌ، يأتي من خلال التداول الإنساني، ولذلك راح رضي الله تعالى عنه يدون الدواوين، ولما كان أمر قضية من يدير أمور الناس مبنيًا على أساس الشورى وعلى أساس الاختيار، وليس الأمر قائمًا على أساس الإلزام والقهر، من هنا النبي ﷺ لم يشأ أن يعيّن من بعده أحدًا صلى الله وسلم وبارك عليه، وتعلمون بأن الصحب الكرام رضي الله تعالى عنهم إنما اختاروا طريقةً واجتمعوا في سقيفة بني ساعِدة، واختاروا الصدِّيق أبا بكرٍ رضي الله تعالى عنه، وما كان ذلك الاختيار إلا بناءً على عصفٍ قام بينهم، فقد تحاوروا وتناقشوا وقام بينهم جدلٌ فيما ينبغي أن يكون، أن يكون منكم أميرٌ، أن يكون منا أميرٌ، كذلك قال الأنصار وكذلك قال المهاجرون، ولكنهم انتهوا في خطابهم الأخير إلى أن يكون الصدِّيق رضي الله تعالى عنه خليفة المسلمين، وسيدنا الصدِّيق رضي الله عنه أشار إلى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه، وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال لهم والله إن من هو خيرٌ مني اختار طريقتان لم أخترهما أنا، النبي ﷺ مضى

ولم يختر، والصدِّيق اختار، وأنا إنما أجعل ستةً منكم هم الذين ينبغي أن يعيّنوا واحدًا منهم، وهكذا يعطينا المرونة، هؤلاء ملكوا عقلًا مرِنًا، هذا العقل المرن هو الذي يعلّم المسلمين على أن أمر الإدارة أمرٌ ابتكاريٌ وليس شأنًا قهريًا، إذ أنهم يستطيعون أن يتداولوا فيما بينهم بأن يبتكروا الطرائق التي يمكن أن تعينهم على إدارة أمورهم، فلذلك إذا ما كان هذا الابتكار قائمًا وتوافق الناس عليه، فلا بد إلا أن يكون هناك طاعة، فمن كان مديرًا لمؤسسةٍ واختير أن يكون مديرًا لها، ألا ينبغي على من كان في هذه المؤسسة أن يطيع أوامره؟ هذا من باب أولى أن يكون إذا كان هذا الأمر رأس الدولة، إن كان سميناه أميرًا، أو ملكًا، أو رئيسًا، أي مسمى من التسميات، لكنَّ المهم أن هذا الذي وُضِع في رأس الهرم، لا بد إلا أن يُعطى، كما أنَّ له صلاحيات وعليه واجبات، كذلك ينبغي أن يكون هناك ممن هم تحت إدارته أن يكونوا مطيعين له ضمن الضوابط التي هي بين يديه، لذلك قال الشيخ -يرحمه الله تعالى- وسرد لنا أحاديث في ذلك، عن أبي سعيدٍ رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "ما بعث الله من نبيٍ ولا استخلف من خليفةٍ إلا كانت له بِطانتان، بِطانةٌ تأمره بالمعروف وتحُضّه عليه، وبِطانةٌ تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم مَن عَصَم الله تعالى" رواه البخاري والنسائي. حديثٌ جليلٌ عظيمٌ، وهو الذي يعطينا أن توضع الكفاءات، ذلكم أنه لا يمكن أن يكون الناصحون لمديرٍ بمؤسسةٍ إلا إذا اختارهم من أرباب الكفاءات والأمانات، فعلى من وُسِّدَ أمرًا أن يختار ممن كانوا معه، وينبغي أن يكونوا حوله ضمن هذه المواصفات ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾. قوةٌ وأمانة، قويٌ وأمين، هذه القوة والأمانة ينبغي أو هاتان الصفتان ينبغي أن تكون قائمتين في كل من يتولى أمرًا من الأمور، وخاصةً إذا كانوا ممن حول المدير الأول، لذلك النبي ﷺ لمّا اختار لنفسه وزيرين، من كان وزيراه؟ أبو بكرٍ وعمر رضي الله تعالى عنهما، وأي وزيرين هما رضي الله تعالى عنهما، هذان الوزيران اللذان كانا مع المصطفى ﷺ، إنما يُبينان كل أمر، ويُظهران كل شأن، ويطرحان أمام النبي ﷺ كل رؤية، ولذلك كانا وزيرا صدقٍ، كانا وزيري صدقٍ يقومان بما يكلفهما النبي ﷺ به، لذلك الله تعالى سمّى سيدنا الصدِّيق صاحبًا ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. "إنَّ من أمَنَّ الناس عليّ أبا بكر" إنَّ من أَمَنّ الناس هكذا يقول النبي ﷺ "إنّ من أمَن الناس عليّ أبا بكر" رضي الله تعالى عنه وأرضاه، إذن لما تكون هذه البطانة بِطانة صادقة تعين صاحب الأمر على أن يُقيم أمره، وإذا كانت بِطانَة فاسدةً وسماها بِطانةً، لأنها تعلم الأسرار وليس الظِّهار، فللثوب بِطانَة وظِهارة، فالبطانة ما لامست الجسد، والظهارة ما كانت ظاهرةً للعين، فهذه البطانة التي تعلم الأسرار الخفية، وتطّلع على أمورٍ لا يطّلع عليها الناس عمومًا، لذلك هؤلاء إذا ما كانوا أقوياء، وأمناء، وصادقين، وأرباب خبرة، ينبغي أن يكونوا أرباب خبرة، لا يكفي أن يكونوا صادقين، الصدق صفةٌ من الصفتين، ولكنَّ الصفة الأخرى التي تعضد هذه الصفة صفةُ الأمانة، والأمانة خبرة، الأمانة خبرة لا بد إلا أن يكون خبيرًا حتى يستطيع أن يقوم بأداء هذه الأمانات، فلما ذكرنا سابقًا عن سيدنا أبي ذرٍ رضي الله تعالى عنه، كان أمينًا ولكنه ضعيف، ليس من ذوي الخبرة ولا من ذوي الكفاءات، ولما عرض نفسه على النبي ﷺ فإن النبي ﷺ نهاه، قال له لا أنا أوليك أمرًا وعليك ألا تتولى من بعدي أمرًا، فإنك صادقٌ يا أبا ذرٍ ولكنك لا تملك صفة الخبرة، فالخبرة أمرٌ هامٌ، وخاصةً إنّا لنرى في كل موقعٍ من المواقع إن إنسانًا قد يكون صادقًا ولكنه ليس بخبيرٍ، فيوقع الأمة في أخطارٍ مُحدقةٍ بها من كل طرف، لذلك النبي ﷺ قال إنّ كل أميرٍ، كل وزيرٍ، كل حاكمٍ، كل مديرٍ، لا بد إلا يكون له بطانتان، ذلكم أنَّ الناس على طبائعهم لا يمكن أن يكونوا أخيارًا دائمًا ولا أشرارًا دائمًا، لا بد إلا أن يكون في الناس من هم أخيار ومن هم أشرار، إذن سيكون من يحيط بولاة الأمور أخيار وأشرار، فهنا ينبغي على هذا على ولي الأمر أن ينظر في الأخيار فيدنيهم، وأن يرى أولئك الأشرار فيقصيهم، فلذلك البطانتان، الأولى تأمره بالمعروف، تدله على الخير، تدله على ما ينفع المجتمع، وتلك إنما تدله على السوء وما يُغرِق الأمة في البلايا، لذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام لما قال في الحديث الثاني عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "إنما الدين النصيحة" قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" فالمؤمن دائمًا متأهبٌ لأجل أن ينصح الآخر، ليس هناك مسلمٌ بإسلامٍ صادقٍ يهز كتفيه ويقول لا علاقة لي، علاقتك بالمجتمع المسلم واجبةٌ عليك، أنت مسلم، أنت جزءٌ من هذه الأمة، عليك أن تنصح لله، لرسوله، لكتابه، لأئمة المسلمين، لعامة المسلمين، وإنك تنصح لكتاب الله بأن تكون ناصرًا له، قائمًا بحقه، مدافعًا عنه، ذائدًا عنه، كذلك يكون أمر نصحك لكتاب الله تعالى، يكون نصحك للرسول المصطفى ﷺ، أن تكون مُحبًا له، ممتثلًا أمره، قائمًا بمنهجه، ممثلًا لسنته، كذلك يكون نصحك للرسول ﷺ، نصحك لأئمة المسلمين أن تكون معهم، أن تجهر بكلمة الحق، وأن تقول كلمة الصدق، وألا تكون من المنافقين، ولا من المزورين، ولا من الذين يمضون في تلكم الأساليب الماكرة، لأجل أن يكونوا مبعِدين عن الحق، هؤلاء هم مزورون، هؤلاء هم الذين يقول النبي ﷺ إنّ هؤلاء هم من منافقي هذه الأمة، والنفاق خطر، النفاق شرس،

إنما يأتي إلى المجتمع فيمتص منه خيراته، المنافقون لا يريدون خيرًا لا لأنفسهم ولا للمجتمع، هم يظنون بأنهم قد أورثوا أنفسهم خيرا، ولكنهم أضروا بأنفسهم قبل الإضرار بغيرهم، فقد أوردوا أنفسهم نار الجحيم، لذلك الصادق الناصح الذي يقول الحق، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، على السمع والطاعة، كذلك ذلك يقول الصحابي الآخر يقول بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم، النصح لكل مسلم بيعة، فينبغي أن أنصح لكل مسلم، وسبق أن ذكرت لكم معنى النصيحة، معنى النصيحة في اللغة يقول أهل اللغة نصح الرجل ثوبه أي خاطه، ويقول أهل اللغة نصح الرجل العسل أي أزال شمعه فجعله صافيا، فإذن إن النصيحة في الحقيقة عمليةٌ اختراقيةٌ بحثيةٌ دراسيةٌ في المجتمع، فأنت لما تريد أن تكون ناصحًا لا يكفي أن تكون النصيحة عبثيةً، أو أن تكون سريعةً، النصيحة نظرةٌ تأمليةٌ في الآخر، ينبغي إذا أردت أن تنصح أن تنظر في كل ما حول المنصوح، لماذا فعل؟ ما الذي كان حوله؟ ما الذي أدّى به إلى هذه المخاطر؟ ما الذي دفعه إلى هذه المزالق؟ ثم تأتي له بالحلول أو تسأل عمن يمكن أن يأتي بالحلول، لذلك قلنا نصح الرجل ثوبه بمعنى أنه خاطه، وكما يُقال الرَّقّاء، الرفاء الذي يرفو الثياب، فإن النصيحة تكون سدًا لخرقٍ، ورتقًا لفتقٍ، كما تكون النصيحة مُصفيةً للقلوب، مصفيةً من الأوشاب والأخلاط، لذلك يصفي الإنسان العسل من شمعه فيجعله صافيًا، فإذن النصيحة جاءت لأجل أن تكون ليست عمليةً احتجاجيةً مجرد أن أقول أنا أحتج عليك، لا هي عملية إصلاحية، وفرقٌ بين الإصلاح وبين الاحتجاج، الاحتجاج أمرٌ عاطفيٌ لا يأتي بخير، أما الإصلاح فهو أمر النصيحة، فالنصيحة منهج، إنما أريد لما آتي إليك لأنصحك، لا آتي لأحتج عليك، ولا لأُبكت عليك، ولا لأجل أن أنتقص منك، ليست النصيحة عبارةً عن انتقاصٍ من الآخر، ينبغي أن تكون النصيحة بأساليبها بالرفق، بالستر، ليست النصيحة فضيحة، فإذا أصبحت النصيحة فضيحًة فهذه فجيعة، لا بد أن تكون النصيحة سرًا حتى لا يكون هناك لتعين أخاك على أن يكون من المنصوحين لا من المقبوحين، فإن الإنسان إذا أراد أن ينصح فيفضح فإنه يعين الشيطان على أخيه، لذلك تكون النصيحة ضمن ضوابطها وآلياتها، ضمن أخلاقياتها وسلوكها، ضمن بحثها لا بد أن تكون النصيحة ضمن هذه الضوابط، حينئذٍ يمكن أن تكون النصيحة مقبولةً لدى المنصوح، ولكنْ إذا جاءت النصيحة بالقباحة، وإذا جاءت النصيحة بالشناعة، وجاءت النصيحة بالفظاعة، وجاءت النصيحة بهذه الطرائق التي تفضح الناس دون أن يكون سترٌ عليهم، والنبي ﷺ يقول لنا: "مَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة" والقصد من الناصح أن يأتي لأجل أن يرتق فتق أخيه لا لأجل أن يوسع عليه فتقه، وأن يشنّع عليه بين أيدي المجتمع لذلك جاء النبي ﷺ في هذا الحديث ليقول لنا، عن تميمٍ الداري، عن النبي ﷺ قال: "إنما الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم" رواه الخمسة. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: "إن شر الناس" أعوذ بالله "إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ" وهذا ما يمضي في مجتمعنا بشكلٍ واضحٍ وكثيرٍ ومستشرٍ وخطيرٍ، وماذا يقول الناس؟ أعط كل واحد جَمله، مو هيك الأمثال، كل واحد أعطيه جمله أخي، أخي مشيها شو بدك بهالقضية أنت، يا أخي خلاص خلي يعني أنت مع هذا ومع ذاك تستريح من أن يكون عندك أي إشكالٍ مع الناس، أعوذ بالله، هذا هل هو دين النصيحة؟ هل هو دين الإسلام؟ أم هو دين النفاق؟ هذا النفاق، هذا النفاق الذي دعا الرسول ﷺ فقال في هذا الحديث أشرُ الناس "إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ" وحينئذٍ لا نصح هؤلاء ولا نصح هؤلاء، بل جعل والعياذ بالله الشر قائمًا دون أن يمضي بخير، فالإنسان أحد أمرين؛ إما أن يكون قادرًا على إقامة النصيحة، أو أقل الأمور أن يكون صامتًا، أوليس الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه هو الذي قال لنا: "مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" لكنَّ الأولى من الصمت هو الكلام بالحق ضمن ضوابطه، لكنْ إذا كان لا يستطيع كلامًا بحقٍ فليصمت، أما أن يتكلم بالشر بأن يأتي هذا بوجه وهذا بوجه، هذا النفاق، أما ترون هذا النفاق قائمًا يا إخواننا في مجتمعنا؟ أما ترونه قائمًا بين ظهرانينا؟ أما ترون فلانًا إنما يبسم في وجه فلان وقلبه مُنكِرٌ عليه؟ ويأتي فلانًا الآخر ويقول له والله كنت ابتسمت له ولكن أنا كذا كذا كذا والعياذ بالله يتكلم عنه، هذا النفاق والعياذ بالله، أنت واجبٌ عليك أن تستر أخاك أن تدعو له في ظهر الغيب، هذا الدعاء الذي جعله الرسول صلى الله وسلم وبارك عليه لك مرقاة في الجنة، أن تدعو لإخوانك في ظهر الغيب، أما أن تأتي لأجل أن تُبكِّت بينهم، وأن تثير الفتن بينهم، وأن تأتي لهذا بوجهٍ وهذا بوجه، وهذا ما نراه الآن، الآن الناس وفي خلال هذه الأزمات الطاحنة التي تعيشها الأمة اليوم، بدأت والعياذ بالله شراراتٌ بوسائل التواصل الاجتماعي هذه التي كان ينبغي أن تكون وسائل خيّرةً يستعملها الناس لأجل أن ينشروا فيها رائحةً شذيةً، نديةً، طرية، لينشروا من خلالها أخلاقًا ساميةً عاليةً راقية، وإذا بنا نرى والعياذ بالله تشنيعاتٍ وتفظيعات، أمور خطيرة نراها من خلال هذه التواصلات غير السوية، لذلك هذه الكتابة دين، يا إخوانا يا أبنائنا هذا الفيسبوك وتويتر وما سواه من هذه الوسائل التي تتكاثر يومًا بعد يوم، هي وسائل من نِعم الله على العباد أن جعل بين أيديهم وسائل تواصلٍ تيسر لهم التواصل، نعمة كبيرة هذه نشكر

الله تعالى عليها، لكنَّ هذه النعمة ينبغي أن يُشكَر الله عليها بالخير لا بالشر، أن يُشكَر الله عليها بالصدق لا بالكذب، أن يُشكَر الله عليها بأن نعفَّ عن أعراض الناس لا أن نغتابهم، بأن لا نَنُمَّ عليهم، بألا نحرش بينهم، انظروا ماذا يجري والعياذ بالله، أمَا ترون بأن فلانًا يتكلم كلمَة والآخر يتكلم أُخرى وترون مثل هذه الأخلاقيات الهابطة، ولعلّ هذه الوسائل كشفت لنا عن أمراضٍ كامنةٍ في أعماقنا، كشفت عوَارنا، وأظهرت أسرارنا، وبيّنت تربيتنا، والكامن فينا، الإنسان إنما يظهر من خلال سِره فأظهرت وسائل التواصل الاجتماعي أسراره الكامنة فيه، هذه أخلاق ينبغي أن يكون الإنسان خلوقًا، مؤدبًا، ودودًا، عطوفًا، يحفظ أخاه في غيبته، يحفظ أخاه في عِرضه، يحافظ على أخيه في نفسه وماله، أما ترون الناس والعياذ بالله إنما يأتون وكأنهم والعياذ بالله يعني من سقط المتاع، ولا تجدهم من أولئك الناس تقول فلان وفلان تعرفه وإذا به تجده لما يأتي إلى هذه الوسائل يهبط ذلك الهبوط الشنيع الفظيع، لذلك يا اخواننا النِعم التي أنعم الله بها على المؤمنين بل على الناس أجمعين، وسائل تطورية ما صنعناها نحن صنعها غيرنا، لكنها نعمة، نعمةٌ من النِعم أنعم الله بها علينا فإذا ما استغللناها لأجل أن تكون خيرًا فنسأل الله تعالى أن يجعلها وسيلة خيرًا بين أيدينا، وإما أن تكون وسيلة شر والعياذ بالله يستعملها الناس لأجل أن يفرّقوا بين المسلمين، وين روحتولنا النظارة شيخ أحمد أنت طيرتا؟ طيب يلا مشي هلأ بعدين بنلاقيها لقيتها أنت؟ شايفها أنت؟ مالي شايفها أنا لا ليكها خلص لقيناها أخي طيب، كذلك يقول النبي ﷺ عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله تعالى عنه، وسمي أبا بكر باعتبار انه رضي الله عنه في الطائف لما حوصرت الطائف فإنه تسلّق على حبل حتى قفز من فوق الحبل إلى النبي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض، أهانه الله" يعني بمعنى أن الذي اختاره المسلمون لأجل أن يكون مدير أمرهم والقائم بشأنهم، فإذا أراد إنسانٌ أن يهينه لمجرد هَنَةٍ في نفسه، أو سقطةٍ في ذاته، أو حقدٍ أو حسد، أو داءٍ أو مرض، فإن الله تعالى يهينه لأنه ظلم، والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يرضى بالظلم، وفرقٌ بين كلمة الحق وبين مجرد الإهانة، هناك من الناس من لا يرضى أن يكون غيره فوقه في نظره، الله تعالى وزع يا أخي المواهب، لا ينبغي لك أن يكون عندك داء الحسد، من عنده داء الحسد عنده اعتراضٌ لا على المحسود، إنما على الله، من رزق المحسود؟ من أعطى المحسود؟ أليس الله؟ فإذن لما يأتي هذا الحاسد فيعترض على المحسود، يعترض على مَن؟ يعترض على الله الذي وهب، فالله هو الواهب، فعليك أن ترى نعمة الله فيما مَنَّ به عليك، وأن ترى أن الله تعالى أعطاك ما تفضل به عليك، وهو المعطي وهو المانع سبحانه وتعالى، هذه صفاته جل وعز، هو المالك هو مالك الملك، فلا ينبغي لأحدٍ أن يكون عنده هذا المرض وذلكم الداء الخطير، واليوم دبَّ هذا الداء "دبّ فيكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد" البغضاء والحسد مضت اليوم هذه الثورات وهذه التحركات إنما أفاضت علينا بكل هذا القيء، نرى اليوم والعياذ بالله حسدًا وقينًا، ونرى تقاتلًا على أوهام، فكيف لو صارت الأوهام وقائع؟ ماذا جرى للناس؟ إنهم إذ يجرون وراء ذلك كيف رُبوا؟ كيف رُبي أصحاب الرسول ﷺ؟ ماذا فعل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يوم جيء بكل ثروة كسرى وأمواله، ورياشه وآليه، وهناك في المدينة المعطرة عند مسجد المصطفى ﷺ وكأنها ربوة، فلما وقف سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه يبكي، ويقول: والله إن قومًا أدّوا هذا لأُمناء، لم ينقصوا مما أخذوا منه شيئًا. هؤلاء أمناء رضي الله تعالى عنهم، فقال له سيدنا علي: يا أمير المؤمنين عففت فعفّت الرعية، ولو أنك رتعت لرتعوا كما رتعت. إذن هذه أمة، نحن اليوم لا في عندنا لا كِسرى، ولا قيصر، ولا أموال، عندنا مصائب وكوارث، وعندنا يعني عِظام نخرة، وعندنا يتامى، وعندنا أرامل، وعندنا بلايا، على ما نتناحر؟ على ما نتقاتل؟ يتقاتلون على أوهام، ما الذي جرى في هؤلاء الناس؟ ما هذه الأحقاد التي تقوم في هذه القلوب؟ كيف لنا أن نطهر قلوبنا من هذه الأوهام الخطرة؟ نحن على أوهامٍ نتقاتل، فكيف إذا جاءت الدنيا بين أيدينا، والمناصب سعت إلينا؟ حينئذٍ ماذا نرى ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا الأرواح التي زهقت بين أيدينا، ولا الأعراض التي انتهكت أمام أعيننا، ولا الدماء التي سالت أمامنا، تردعنا على ألا نتقاتل؟ أليس لنا أن نأخذ بألا نغترف إلا الغُرفة إذا جاءتنا؟ كما أمر الله تعالى بني إسرائيل ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ . فأرادوا من الأوهام أن يشربوا كل شيء وهو وهم، على أي شيء يريدون أن يتقاتلوا؟ لذلك يا إخواننا نحن اليوم في مآلات خطيرة، لا بد من النصيحة، يعني هذه الوسائط التي أعطانا الله تعالى إياها، نحن البلايا التي تُحيط بنا بلايا خطيرة، ينبغي أن نرص الصف، أن نوحد الكلمة، أن نطهر القلوب، رص صف بدون طهر قلب لا ينفع، اجمع الناس ألف اجتماع دون أن تكون قلوبهم طاهرة، ونياتهم حسنة وهذا بين العبد وربه، ولذلك الله تعالى قال لنا: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾، قال لنا: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾، ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾. وباطن الإثم أخطر من ظاهره، فباطن الإثم ماحقٌ للإيمان، وقال النبي ﷺ وشبهه بالحالقة، قال الحالقة تحلق الدين، هذا من الباطن من المرض الباطن، المرض الظاهر الذنب الظاهر يتوب الله على من أذنب، بل اعتبره النبي ﷺ بمقام الشهداء "أمَا تجدون بأنها جادت بنفسها في سبيل الله؟" جادت بنفسها في سبيل الله هكذا قال

عن التي زنت، لكنْ ذاك الذي يريد أن يوغر صدور المؤمنين، ويفرّق صفوف المسلمين، ويحقد على المؤمنين، ويظهر نفسه بأنه من الصالحين، هذا منافق من المنافقين، لذلك لا بد أن نطهر قلوبنا يا إخواننا، الآن لا بد من رحلة جديدة نطهر بها قلوبنا يا أيها الشباب، لا بد من أن تبكي عيوننا دمعًا غزيرًا حتى تطهر قلوبنا، ونقول لله سبحانه وتعالى يا ربِّ طهر قلوبنا من كل وصفٍ يباعدها عن مشاهدتك ومحبتك، واجعل حبك أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ، واغسل قلوبنا بالماء والثلج والبَرد، ونقنا يا أرحم الراحمين من الخطايا والذنوب كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، كذلك القلوب، القلوب هكذا مكمنها إذا لم تكن القلوب نقيةً، تقيةً، طريةً، لم تكن القلوب آيبةً إلى ربها خائفةً من خالقها، حينئذٍ لا يمكن أن ينفع الناس إدارات، نحن المسلمين أمرنا أمرٌ آخر نختلف عن الآخرين، نحن لا نتعامل بإداريات فقط، نتعامل بهذه النيات الحسنة، هذه النيات الطاهرة، هذه القلوب ينبغي لنا ألا نتطاحن على أوهام، فكيف إذا كانت هذه الأوهام حقائق بين أيدينا ماذا نعمل؟ لذلك الله تعالى لما قال عن تلك الأمة الملعونة، قال: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾. والعجل ليس في القلوب، العجل في الأيدي أرقام، العِجل ما هو؟ المقصود رمزيةٌ لمحبة المال والشهوات، ومحبة المال والشهوات ليس في القلوب إنما هو في الأيادي نزوات، لكنَّ الله قال قد تغلغل حبُّ هذه الدنيا في قلوبهم ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾. وكأننا أُشربنا حب المناصب الموهومة، حُرِمها الناس من خلال الطغيان والظلم، ولكنْ إذا بهم يريدون أن يمتصوها الآن من خلال الأوهام والسحر، على الإنسان أن يكون خاليًا من ذلك كله، وأن يكون مبتعدًا عن ذلك كله، وأن يقول يا رب هيئ للأمة رشدا، وأن أكون خادمًا لأمتي في أي موقع من مواقعها، أمَا رأيتم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، ماذا فعل رضي الله عنه، أي قلبٍ لسيدنا خالد رضي الله عنه، رضي الله عنك يا سيف الله المسلول، ماذا فعل خالد رضي الله عنه؟ وهو الذي ما تنحى يومًا عن أن يكون سيد من يركب الخيول، وإذا به يُنحى رضي الله تعالى عنه ليكون جنديًا من الجنود، أما نحّاه سيدنا عمر، نحّاه أم لم ينحه؟ نحّاه ماذا فعل سيدنا خالد؟ هل راح ينسج من ورائه مؤامرة؟ هل راح يؤلب الناس عليه؟ هل راح يقول والله إنه غار مني؟ ما فعل إنما انضم ليكون جنديًا من الجند، أمَا كان الصدِّيق رضي الله تعالى عنه جنديًا من جنود أسامة بن زيد؟ أما وقف ليقول وهو رضي الله عنه سيدٌ بعد رسول الله ﷺ، الرسول يقول: "إن من أَمَنَّ الناس علي أبا بكر" ويقف تلك القامة العظمى ويقول له: يا أسامة اركب، يا أمير المؤمنين اركب يا اسامة ويأتي يشيعه إلى ظاهر المدينة واسامة يركب فوق فرسه وأبو بكرٍ رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه والصحابة كلهم يمضون يشيعونه، أية قلوبٍ هذه؟ ثم يقف أمير المؤمنين أبو بكر: يا أسامة يا أمير الجند، هل تأذن لي في أن تُبقي لي عمر بن الخطاب أستشيره في أمور المسلمين؟ يا أيها الناس نحن نقرأ التاريخ فقط؟ لمجرد القراءة والاطلاع، ولمجرد الاتكاء على الماضي وهذا هو تاريخنا؟ أم ينبغي أن أكون كذلك؟ أن أكون أنا جنديًا أبتغي وجه ربي أينما كنت، بغية هؤلاء الأرامل، بغية أولئك الثكالى، بغية هؤلاء الأيتام، بغية هؤلاء الفقراء، بغية الذين هُدمت بيوتهم، فما الذي جرى؟ ما الذي جرى في أمتنا؟ هياكل موهومة، ومؤسسات مزعومة، وكلها أوهام، وكذلك تقاتلات وتراشقات، واتهامات وتبادلات، ما بقي أحد طاهر أعوذ بالله من ذلك، لذلك يا إخواننا نحن اليوم في خطر داهم، الخطر خطر القلوب، الخطر خطر هذه النفوس التي هبطت، وهذه القلوب التي تكلَّست، وهذه الأرواح التي ماتت، كم من ميتٍ وهو يمشي بين الأحياء، فيا إخوتي الأحبة يا أبنائي نحن اليوم بحاجةٍ إلى نهضةٍ جديدة، إلى وعيٍ جديد، إلى ابتكارٍ في قلوبنا لأجل أن نؤسس هذه العلاقة بيننا وبين الله، إياكم يا إخوانا أن يكون عند واحدٍ منكم ترقبٌ لمنصب، قلت لكم عن سيدنا موسى عليه السلام، الله تعالى أعطاه أجلَّ منصبٍ وأعلى منصب، وكلّفه بأن يكون وكيله في البلاغ، اذهب إلى فرعون أنت وكيلي أنت كليمي، فراح يفتش عن الكفاءة، لله درك يا سيدنا يا موسى عليه السلام، رأى كفاءةً أكثر منه أداءً للمهمة، فماذا قال عليه السلام؟ ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾. أفصح مني لسانًا يا رب اجعله رِدءًا لي يصدّقني، كذلك أين أخلاقيات الإسلام، أين قراءة القرآن، أين إنزال الحقائق؟ هذه الحقائق التي ينبغي أن تُنزل بين أيدينا، وأخي هارون منصب أعطاه الله تعالى إياه وتكفل له بالنصر، وأراه الله المعجزات، وألقته أمه في البحر، وسلَّمه الله وجاء إلى قصر فرعون رُبّي في قصر فرعون وكل هذه الحقائق بين يدي سيدنا موسى عليه السلام، وربنا يقول له اذهب بآياتي إلى فرعون، يا ربي أخي هارون أفصح مني لسانًا، اليوم يتقاتلون على أوهام، هنيك في مُهِمة، هنيك في واقع، هناك في معجزة، هناك رب العباد يكلفه، اليوم على أيه؟ على ماذا؟ ما الذي نتقاتل عليه؟ لذلك لا بد إلا أن يعود الناس إلى رشدهم، وأن يتقوا الله ربهم، وألا يُغلِّفوا ما في قلوبهم من وساوس ومن خفايا بعمامةٍ شرعية، لأن كلًا منهم قادر على أن يجعل العمامة الشرعية على ادعائه، والمنافقون كانوا يستطيعون مثل ذلك، يا إخواننا القضية خطيرة، نحن اليوم في هذه المعركة، هذه المعركة التي فيها هؤلاء الضعفاء والمساكين، وأقول هذا الكلام لكل مسلم لنفسي بدايةً لا أنزه نفسي، كلنا نحتاج إلى هذه المائدة الطرية، إلى مائدة القلوب "وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد

كله، ألا وهي القلب" "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكنه ينظر" إلى إيه؟ "إلى قلوبكم وأعمالكم" هنا القلب يا إخوانا نسأل الله تعالى أن يجعل قلوبنا قلوبًا تقيةً نقية طاهرةً صافية، وألا تبتغي من هذه الدنيا نصيبا، على أيه بده الإنسان ياخد النصيب؟ المهم أن يقبلنا الله رب العالمين يوم القيامة، كما فعل هؤلاء رضي الله عنهم كما رأيناهم وكما كان الرسول ﷺ قد ربّاهم، إذا كان النبي ﷺ وقد تولى مهمة البلاغ عن ربه، وهو الذي يقول ﷺ حين خرج إلى أصحابه قبل وفاته ﷺ، يتوكأ على الفضل، وعلى عليّ رضي الله تعالى عنهما، ليقول لهما: "خذاني إلى المسلمين" ويقول للمسلمين: "من كنت قد جلدت له ظهرًا فهذا ظهري فليجلده، ومن كنت قد اخذت منه مالًا فهذا مالي فلينل منه، من كنت قد نلت من عِرضه فهذا عِرضي فلينل منه" سيدي رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليك، ماذا نقول نحن يا إخوتي؟ يا أحبتي يا من يسمعني من غيركم، ما الذي يعترينا اليوم؟ ألسنةٌ تمتد بعضنا على بعض، إهانات، طعن في الأعراض، طعن في النيات أعوذ بالله من هذا الذي وصلنا إليه، أهكذا ينتظر أولئك اليتامى منا؟ أينتظر أولئك الأيامى منا ذلك؟ أينتظر الذين قُطِّعت أوصالهم وهم الآن في مرضهم منا ذلك؟ يرون تهاوشنا وتهارشنا، هكذا ينتظرون منا؟ أم ينتظرون منا أن تكون قلوبنا صافيةً، وأن نحاول أن نعمل عملًا، وأن نحاول أن نقدم خيرًا، لذلك لا بد يا إخوتي الأحبة من أن نعود عودةً صافيةً صادقةً لمراجعة الذات، فربنا تعالى هو الذي أقسم بهذه النفس ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. هذه النفس التي ينبغي أن تقوم الآن حارسًا عليك، وحارسًا على تصرفاتك وتصرفاتي وتصرفات كل مسلم ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. فاللهم نسألك أن تعيننا على تطهير القلوب حتى تُغفر الذنوب، وأن تُعيننا على تطهير هذه النفوس حتى نكون إن شاء الله عاملين في الأسس وقائمين بأمر المسلمين، وإلا والله يا إخواني كل هذه الظواهر لا تفيد عند الله شيئًا إن لم يصاحبها نية حسنة، فالنية هي الأصل الذي ينبغي أن يبني المؤمن عليه عمله، نسأل الله تعالى التوبة والمغفرة يعني نتم هذا الباب.

وعن طارق بن شهابٍ رضي الله عنه، أنَّ رجلًا سأل النبي ﷺ وقد وضع رجله في الغرز، أي في الجهاد يعني خلص وكّله رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى الجهاد، فقال: أي الجهاد أفضل؟ هنا النبي ﷺ يضع الأمر إلى المآلات، إياك أن تظن بأن القضية مجرد ركوب خيلٍ أو قتالٍ بسيفٍ، إنما القضية نيات، وقال: "كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر" قال له المقصود هو قيام المجتمع المؤمن الطاهر، المجتمع الذي تستوي فيه الحقائق، المجتمع الذي تظهر فيه نيات المسلمين بصفاءٍ ونياتٍ حسنة، كذلك هذا المجتمع الذي ينبغي أن تحرصوا عليه، فقال له: إنّ قتالك عظيم، ولكنَّ الذي يقوم في المجتمع بعين الرقابة، بعين النصيحة، بعين التدقيق، والنصيحة الطيبة، إنه هؤلاء من المجاهدين في سبيل الله، وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن تسعةٌ، فقال: "إنه ستكون بعدي أمراء، من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بواردٍ عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ علي الحوض" رواه النسائي والترمذي والله تعالى أعلى وأعلم.

إذن القضية عامةٌ سواءٌ، كانت للأمراء بالعموم، للحُكام بالعموم، للمديرين بالعموم، أمَا تجدون اليوم مافيات في نفس الوظائف، يعني هذه الأحاديث لا تأخذوها فقط على الحكام، خدوها على حكام آخرين بوسط الوظائف بوسط البيوت، ألا تجدون هذه التحريشات؟ ألا تجدون هؤلاء المافيات الذين يلتفون على المدير ويحيطون به، ويريدون أن يفسدوا كل التصورات في ذهنه؟ إذن هؤلاء الذين هم يكونون مافيات حول من يتولى أمرًا من أمور المسلمين، سواءٌ كان أمرًا صغيرًا أو أمرًا كبيرًا، طبعًا لا شك أن الخطر يكون كلما كبرت المساحة، ولكنْ الأمر خطرٌ حتى في الأسرة، ألا تجدون أنَّ أولادًا قد يكونون من المنافقين يحيطون بأبيهم فيفسدون تصورات أبيهم على إخوانهم وأخواتهم، أما يقومون بمثل ذلك؟ أما يأتي بعضٌ من مافيات الأُسر أحيانًا فيُفرقون شمل الأسرة؟ قائمٌ هذا أو ليس بقائم؟ قائم هذا الأمر، أما تجدون في الوظائف مثل ذلك؟ لذلك النبي ﷺ بقول هؤلاء لا يردون عليَّ الحوض وليس لهم شفاعةٌ عندي يوم القيامة، انظروا عِظم هذا الذنب، يعني هذا ذنب ما الناس يظنون بأنه من الذنوب الكبيرة، يفعل هذا الأمر يُفرق بين الناس ويمزق شمل الناس، وهو يظن بأنه من الصغائر التي فعلها، لا يا سيدي هذه الكبائر الكبائر الظاهرة، اللي هي كبائر كما قلنا من زنا ومن سرقة والكبائر اللي ذكرها النبي ﷺ السبع، هذه كبائر أكبر من تلك، تلك كبائر تكون خاصةً به وهذه كبائر إنما انعكست على المجتمع كله، لذلك الإمام ابن حجر -يرحمه الله تعالى- يرفع في كتابه الزواجر يرفع الكبائر إلى أربعين كبيرة، لأنه في كبائر ما ذكرها الرسول ﷺ باسم الكبيرة، لكنْ هي كبيرة، هذا التفريق بين المسلمين أليس بكبيرة؟ لا هو زنا، بقلك أنا زنيت؟ لا، سرقت؟ ما سرقت، عققت والدي ما عققت والدي، يا سيدي فرَّق بين المسلمين، فرَّق بين إخوانه، حَرَمَ الناس من حقوقهم في وظائفهم، أليس هذا من الكبائر؟ وربكم من الكبائر من الكبائر

هكذا كما يقول النبي ﷺ، لذلك أحبتي قراءة الإسلام بهذا الوعي هو الذي يعطي مجتمعنا أن يكون على سواءِ الصراط، نحن لما قرأنا الإسلام على أنه صلاة وطقوس وأذكار خالية عن كل هذه المعاني التي ربَّى رسول الله ﷺ أصحابه عليها، فكانوا ناصحين رضي الله تعالى عنهم لكل مسلم، وقائمين بالحق لكل مسلم، لذلك وجدنا طهارة ذلك المجتمع، ومجتمعنا قادرٌ على ذلك؟ أجل إنه قادر، لأن النبي ﷺ قال لنا: "أمتي كالمطر لا يُدرى آخره خير أو أوله" يعني ستأتي هذه الرسالة بهذا الخير إلى يوم القيامة، لأن هذا القرآن محفوظ وهذه الأمة محفوظة.

نسأل الله تعالى أن نكون من هؤلاء الذين يهيئون في الأمة أمر رشدها، وأن نكون من الذين يحملون هذه الغاية لتهيئة الأمة للقيام بمؤسساتها الواعية التي تقود الأمة إلى طريق السواء إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، قلوبكم الواجفة مهيئةٌ لسماع أخينا وحبيبنا أبي ياسر بما يصِلنا بربنا سبحانه وتعالى في هذه اللحظات المشرقات التي نسأل الله تعالى أن يزيدنا فيها إشراقًا لقلوبنا، ومغفرةً لذنوبنا، وسترًا لعيوبنا، وشفاءً لأبداننا، وتصحيحًا لمفاهيمنا وهدايَة لنا ولأولادنا وأزواجنا وتسييرًا لمجتمعنا إنه السميع القريب المجيب، فأبو ياسر ونسله طاهر يمنون علينا اليوم مو أبو ياسر لحاله.

فقرة إنشاد.